

الإدراك بين "الفهم" و"عدم الفهم"

<http://www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakD140812.pdf>

د. روكي يحيى الرخاوي

mokattampsy2002@hotmail.com - rakhawy@rakhawy.org

نشرة "الإنسان والتطور" 2012/08/14

السنة الخامسة - العدد: 1810



ما هذا؟

إلى أين وصلنا؟

كلام من غير كلام!! وإدراك بدون إحساس!!! واللاشعور ليس مرادفاً للإدراك!!! والإدراك ليس تلقياً فحسب، بل هو عملية معرفية لها حركيتها ذهاباً وإياباً!!!
إلى أين تجررنا هذه الاستطرادات ونحن بصدد تقديم الأساس في الطب النفسي؟

ثم، ما هي المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية والثقافية (بل والدينية) حين نروج لهذه البدائل البعيدة عن ما ساد عبر العالم الحديث عن تقديس قيمة "العقل" و"المنطق" و"الفهم السليم" والمقدمات التي لها توالٍ و"التخطيط" ودراسة الجدوى: بل والبحث العلمي المؤسسي؟
وهل مجتمعنا الشديد التواضع في مرحلة نموه الحالية يحتاج لمثل هذا الطرح هكذا بكل هذا الحماس وهذه الأدلة، ونحن لا ينفصنا رواج الخرافة، والحدس العشوائي، والتبعية، والتخدير الذاتي والمستورد، والتسليم الديني السطحي بلا تمييز بينه وبين الوجد الإيماني الإبداعي؟
كل هذه الأسئلة سيق أن تعرضنا للإجابة عليها فيما سيق من نشرات عن الإدراك، وقدمنا المبررات التي حسيناها مبرراً كافياً للاستمرار، كما قدمنا ما ينشر لنا من تحذير للتفرقة بين أقصى المعرفة وسطح الخرافة، الأمر الذي قد يلتبس عند الكثيرين من المتعجلين والمستسلمين.
المبرر الأقوى الذي مازال هو الدافع الأول والأساسي هو أن هذا الذي نبخه هو نابع من الممارسة العملية كما كررنا مراراً، وليس أبداً من أي تنظير نفسي أو فلسفي أو لغوي (أكاديمي خاصة).
حين تطرق الأمر في الأسبوع الماضي إلى تناول علاقة اللاشعور بالإدراك، أكدنا أن ثمة علاقة تماس مهمة، وفي نفس الوقت نفينا الترادف نفياً قاطعاً وحاسماً، وحين اقتربنا من الحديث عن علاقة الإدراك "بالوعي" كان الاستشهاد الأول هو بداية عرض عينات من لعبة "أنا خائف أقول كلام من غير كلام لحسن....." وبيّنا كيف أن هذا ليس تفكيراً داخلياً ولا استنباطاً ذاتياً ولا بديلاً عن الكلام المعن بقدر ما هو نشاط معرفي مجاور ومواكب ومختلف في نفس الوقت عن الكلام المعن، بل وعنه هو هو إذا ما أعلن غالباً.
مادام الأمر كذلك، دعونا نبخه أولاً فيما يدعم مصدر هذه المعارف من العلاج الجمعي أساساً، وإذا بي أجد لعبة أخرى ذات ارتباط يكاد يكون مباشراً مع القضية التي نطرحها، وهي لعبة تكشف وربما تحدد علاقة "الفهم بالالفهم (عدم الفهم)، ونصها "يا خير!! دانا لما مايا فهمشى يمكن...." قلت: إذا أضفنا نتائج هذه اللعبة إلى اللعبة التي أجلبنا مناقشتها "أنا خائف أقول كلام من غير كلام لحسن.. فهناك احتمال أن تكتمل أركان التعرف أكثر على ما هو إدراك بعيداً عن وصاية الاحساس (الحواس الخمس) والتفكير (الفهم)، وثم إنني وجدنتي أرجع إلى كلمة "فهم" في اللغة العربية فإذا بها تعني الإحاطة بالشئ، واستيعابه: فهمَ الدرس: أدركه وعلمه وعرفه، بل وحصله!! قلت إذا كنت قد تجنبت البداية من القواميس فيما يتعلق بالإدراك (بالانجليزية والعربية) فكيف اسمح لنفسي باستدراجي إليها وأنا أفتح ملف "الفهم" وعلاقته بالإدراك، وتوقفت راجعاً إلى واقع العلاج:

ثم، ما هي المسؤولية الأخلاقية والاجتماعية والثقافية (بل والدينية) حين نروج لهذه البدائل البعيدة عن ما ساد عبر العالم الحديث عن تقديس قيمة "العقل" و"المنطق" و"الفهم السليم" والمقدمات التي لها توالٍ و"التخطيط" ودراسة الجدوى: بل والبحث العلمي المؤسسي؟

سوف: أكتفى بالإشارة في هذه المقدمة إلى عزمي على الربط بين اللعبتين لعلنا نقترب أكثر فأكثر من "الإعداد" في الإدراك (رشاد)[1] يقدر ما تقترب من آلية عدم الفهم كنوع خاص من الفهم، وعلى نفس القياس سوف نفاجاً أنه بقدر ما أريد الكلام ضرورة لا غنى عنها في التواصل ومن ثم في اتمام نوع خاص من الإدراك سوف نعرف أن "اللافهم" هو أيضاً نوع آخر من "الفهم".

اللعبة الجديدة التي قد يستغرق تقديمها كل نشرة اليوم بدأت حين سأل أحد أفراد المجموعة المعالج القائد (شخصي)، بعد مضي تسعة أشهر من عمر المجموعة "هو ممكن يا دكتور الواحد يخف (يشفى) من غير ما يفهم؟"

وإليك هذه المقطع وتداعياته حتى يمكن التعرف على كيف بدأت فكرة اللعبة قبل أن تعرض لبعض نتائجها الرائعة لاحقاً.

جلسة العلاج الجمعي: الأربعاء: 31-3-2010

اللعبة (ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن ...)

.....

.....

أحمد: أنا عاوز أشتغل في حاجه يادكتور يحيى

د.يحيى : أنا موافق، بس إيه بعد مانشتغل عاوزين نربط الأمور ببعضها، أنا موافق إتفضل

أحمد: هو تناقض

د.يحيى: لأه أنا وإنت وهنا دلوقتي مش قضايا تناقض ومش تناقض ما إحنا كان في تناقض اللي بتاع أنا بحب نفسي ومباحبش نفسي، وإشغلنا فيه ماحلناش حاجه بس، اعمل معروف بلاش الشعارات، وخلينا نقاليها "أنا وإنت وهنا ودلوقتي".

.....

أحمد: يعنى أنا دلوقتي فاهم الحوار أو الكلام دلوقتي وفي نفس الوقت مش فاهم حاجه

د.يحيى: الله يبارك!، ربنا يبارك فيك يا شيخ، الظاهر اللي بي فهم ده عمال على بطل ممكن يروح في ستين داهيه

أحمد: أنا بقى عندي ...

د.يحيى: مش إنت فاكرا يا احمد من حوالي 6 أشهر لما قلت الكلمه ديه الكلمه الحكيمه بتاعه هو الواحد ممكن يخف وهو مش فاهم

أحمد: تقريبا فاكراها

د.يحيى : الظاهر إن الفهم ليها وظيفه وقلة الفهم ليه وظيفه، يا أخى ده إنت اللي علمتنا الحكايه

أحمد: بس الأحسن يادكتور يحيى إني أنا أكون فاهم

د.يحيى : ليه ما إنت خفيت وإنت مش فاهم أهه أو يعنى على الأقل إتحسننت إتغيرت فعلا، إنت يا أخى اللي علمتنا إن الفهم ليه وظيفه وقلة الفهم ليها وظيفه، واللى بوظ الناس دول (يشير إلى المشاهدين خارج حلقة المجموعة الدائرة الخارجية انظر نظام المشاهدة في التدريب (نشرة: 14-9-2007) إنهم متصورين إنهم فاهمين كل حاجه، وردى عملية باين عليها بتبوظ حتى الفهم إنما قلة الفهم نفسه ليه وظيفه تانية ولا مش واخذ يالك.

أحمد: بس مش على طول

د.يحيى : طبعاً مش على طول الله يفتح عليك

أحمد: هو ده معناه إيه

د.يحيى : ما إنت اللي جاوبت أهه معناه انك خلاص كسبت الحسنيين

أحمد: ده معناه إيه عندكم يادكتور يحيى

د.يحيى : معناه إنك حصان حلو يعنى "حصان" بتتحسن، يا أحمد إنت بتقول كلام شديد الأهميه

نحن لا ينقصنا رواج
الخرافة، والحكس
العشوائك، والتبعية،
والتخدير الذاتك
والمستورد، والتسليم
الدينك السطوح بلا
تمييز بينه وبين الوجود
الإيمانك الإبداعي؟

الذك نبحثه هو نابغ
من الممارسة العملية
كما كورنا مراراً،

وليس أبداً من أحد
تنظير نفسك أو
فلسفك أو لغوك
(أكاديمك خاصة).

أحمد: أيوه يعنى هوّا أنا ممكن أقول كلام شديد الأهميه وانا مش فاهم؟
د.يحيى : هو إنت يعنى بتحفظه فى الكتب وبتيجى تسمعه؟ ما إنت بتعيشه وبتقولولنا يا أخى أهه الله !!
أحمد: بس على الأقل أكون فاهم على الأقل دلوقتى يادكتور يحيى أكون فاهم الكلام اللى أنا بقوله
د.يحيى : ليه بقى؟ ما إنت ماكنتش فاهم وإتسنتت وإستغربت إزاي الواحد يتحسن وهو مش فاهم الله
أحمد: بس برضه الأحسن أكون فاهم
د.يحيى : لأه ياشيخ!! مين اللى قال كده بقى، مش احنا قلنا ده بيغذى ده
نصرة: ممكن أتكلم فى موضوع تانى يا دكتور؟
د.يحيى : حاضر، بس عايز أسأل الدكتور منى هى موافقه على الكلام اللى أنا باقوله لأحمد إن عدم الفهم
مهم، إيه رأيك يا د. منى؟
د.منى: مش عارفه
د.يحيى : مش عارفه مش عارفة، ولا يهملك، ما إحنا بنشتغل فى اللى احنا مش عارفينه زى ما اتعودنا
د.منى: ما هو أحمد بيحلها أهه
د.يحيى : احمد ماحلش حاجه، ماحدش بيحل حاجة بدال حد، الراجل قاعد متنبيل أهوه مش إنت قاعد متنبيل يا
أحمد
أحمد: آه
د.يحيى : بس خلاص، لأه أحمد ماحلهاش أحمد قال ده موجود وده موجود وعاوز أفهم أكثر قولت له لأه
مش ضرورى وإن عدم الفهم ليه وظيفه والفهم ليه وظيفه وبعدين قال كلمه لطيفه خالص "إنها مش قاعده"، بس
أنا لاحظت انك انت يا دكتور منى بنتفرجى علينا وعاوزه تفهمى بالعافيه
د.منى: فعلا: بافكر إذا كنت أنا بفهم ولا لأه
د.يحيى : بالضبط، ياللا بقى نشغل
د.منى: حضرتك عاوزنى أشتغل فى إيه فى عدم الفهم
د.يحيى : أيوه ! نشغل كلنا فى عدم الفهم، كلنا مش إنتى بس الله يخربيتك ياأحمد لخصت الدكتور
د.منى: من الواضح إن حكاية عدم الفهم محتاجه شغل
د.يحيى : إزاي يبقى مفيد عدم الفهم زى ما أحمد قال هو ماقلش كده أوى بس قبل كده يعنى، أنا مش عارف
على فكرة أنا مش باسألك يا أحمد ولا بامتحنك، أنا بجد مش عارف أشتغل إزاي فى المنطقه ديه مع إني أنا
عارف إنها صح من خبرتى
د.منى: يعنى نشوف الفهم إزاي بيعطلنا
د.يحيى : لأه مش بس إنه بيعطل ده له وظيفه يعنى ده كويس عدم الفهم كويس والفهم كويس أحمد كان فاهم
إن ده تناقض إشتغل معاه ، وهو علمنا إن ده مش تناقض، حسبها بالنتيجه لإن وهو مش فاهم حصل تغيرات،
أنا بكلمك جد يا د. منى علشان أنا مش عارف أشتغل فى المنطقه دى إزاي
د.منى: طيب نفكر فيها
د.يحيى : لأه مش قصدى، احنا يمكن نفكر فيها وممكن نكتب فيها مقالات وبتاع، احنا عايزين نشغل فيها،
بس إزاي هنا ودلوقتى أنا مش جايب الكلام ده من المقالات أنا جايبه من أحمد ومننا، أنا لما ما بفهمشى
د.منى: حانلعب بقى؟
د.يحيى : إحنا بقالنا زمان مالعناش نخليها علشان تخف شويه نخليها لعبه: فلان (أنا لما مابفهمشى يمكن
... ونكمل) بس حانلعب مع الكل، كل مرة غير التانيه، مش إنتى بس آه تقدرى تولعى النور الأحمر [2]) (أنا
لما ما بفهمشى يمكن)
د.منى: أنا لما مابفهمشى يمكن
د.يحيى : آه
د.منى: يا أحمد
د.يحيى : مش هى حاجه غريبه طيب ماتعملها وإنتى مستغربه لأه ما تحضريش إحنا كثير حاتقولى بقى إيه

سوف نفاجاً أنه بقدر
ما أريد الكلام ضروريه
لا عنك عنها فك
التواصل ومن ثم فك
أتهام نوع خاص من
الإدراك سوف نحرف
أن "اللافهم" هو أيضا
نوع آخر من "الفهم".

عشان تستغري (ياخبر ده !!! ... ده أنا لما بفهمشى يمكن ... وتكلمى) لازم نجيب الدهشه على وشك وجسمك وكللك

بداية اللعبة (ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن ...)

د.منى: يا أحمد ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن أحافظ على نفسى

د.منى: يا هاله ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن ده أحسن لى

د.منى: يا نصره ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن بمشى أحسن

د.منى: يا دكتور يحيى ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن أكون أجمل

د.منى: يا منى ياخبر ده أنا لما بفهمشى يمكن أكون مبسوطه اكثر

تعقيب مؤقت:

نلاحظ أن اللعبة بدأت بالطبيبة المساعدة (المتدربة)، وهذه ليست قاعدة متواترة عادة خشية التقليد، مع أنها ملزمة لقائد المجموعة أن يلعب فى النهاية، لكننى تعمدت أن أعرض هنا البداية بشخص يمثل السواء حتى تتصور أن الظاهرة تحت الفحص هى خاصة بالمرضى، وسوف أعود لمناقشتها طبعاً مع بقية الاستجابات للأسوياء والمرضى فى العلاج الجمعى وفى التجريب فى ندوة الجمعية (جمعية الطب النفسى التطورى) بدار المقطم للصحة النفسية (ندوة مايو 2010).

وبعد

أتوقف اليوم هنا لأكرر اعتذارى عن عدم إكمال مناقشة اللعبة التى عرضناها الأسبوع الماضى، وسوف نكمل مناقشة كلا اللعبتين معا لاحقا - فى الأغلب - مع الأمل فى أن نقارن بعض النتائج ببعضها ببعض.

[1] - نشرة: 2012-6-5

[2] - (نشرة: 2007-9-14)

*** **

وحدة الدراسة والبحث فى الإنسان والتطور

"وحدة بحث فى قراءة النص البشرى من منظور تطوري اطلاقاً من فكر يحيى الرخاوي"

نشرة الإنسان والتطور (الإصدار الفطلي حسب الجداول)

شباط 2012

عندما يتحرك الإنسان

مع ملحق ردود بريـد الجمـعة

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.pdf

www.arabpsynet.com/Rakhawy/RakBookWinter12.exe

د. روفيسور يحيى الرخاوي

rakhawy@rakhawy.org

mokattampsy2002@hotmail.com